مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيّاها أريدُ أن تقرِّر حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذه هي الأعمالُ الحسنةُ والنافعةُ* أمَّا المباحثاتُ الهَذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةُ فاجتنبْها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنه* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتسفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبلُّوسُ فاجتهدْ في تشييعهما متأهِبين لئلاَّ يُعوزهما شيءٌ* وليتعلَّمُ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ

أحد آباء المجمع المسكوني الرابع

في الأحد الواقع بين ١٣ و٢٠ تموز تعيّد كنيستنا المقدسة لآباء المجمع المسكوني الرابع، الذين التأموا في نيقية في آسيا الصغرى في العام ٤٥١م. وقد حدّدوا الإيمان بشخص الرب يسوع، على أنّه إله تام وإنسان تام، أي أنّه اتخذ الطبيعة البشريّة بكاملها وأصبح إنساناً كاملاً لا ينقصه شيء من خصائص البشر، دون أن يكفّ عن أن يكون الإله الكامل. وهو مرّ بكل ما يمرّ به أيّ إنسان، باستثناء الخطيئة، وصولاً إلى الموت لكي يبيد بموته سلطة إبليس علينا: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كلّ حياتهم تحت العبودية... من ثم كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كلّ شيء، لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يُكفّر خطايا الشعب، لأنّه في ما هو قد تألّم مُجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين» (عب٢: ١٤–١٨).

إلاّ أنّ الكنيسة وعت، منذ البدء، أنّ الحياة في المسيح مرتبطة مباشرة بالإيمان الصحيح، وأن الأمر لا يقتصر على مجرّد مباحثات عقائديّة ومجادلات فلسفيّة. وقد وضعت الكنيسة المقدسة في هذا اليوم القراءة من رسالة القديس بولس الرسول إلى تيطس لتشدّد على هذا الأمر، فالكلمة الصحيحة تدعو إلى الاهتمام بالأعمال الصالحة: «صادقة هي الكلمة وإيّاها أريد أن تقرِّر، حتى يهتم الذين آمنوا بالله في القيام بالأعمال الحسنة. فهذه هي الأعمال الحسنة والنافعة. أما المباحثات الهَذيانيّة والأنساب والخصومات والمماحكات الناموسيّة فاجتنبها، فإنّها غيرُ نافعة وباطلة» (تي ٣: ٨–٩)، «وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمال الصالحة للحاجات الضروريَّة، حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين» (تي ٣: ١٤).

العدد ٢٠١٢/٢٩

الأحد ١٥ تموز

آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكار القديسَين الشهيدين

كيريكس ويوليطة

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر السادس

الإيمان الصحيح إذاً ضروري جدًّا حتى ندرك أنّ إلهنا الذي أحبّنا محبّةً لا يمكن إدراكها، أراد أن يرفعنا إليه ليشاركنا في محبّته. وكيف لذلك أن يحصل؟ فالله تعالى اسمه لا يمكن لأحد أن يدركه، لذلك أتى هو إلينا، لا

للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذين معي* سلِّم على الذين يُحبُّونَنا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ١٤–١٩)

قال الربُّ لتلاميذه أنتم نورُ العالم. لا يمكن أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبل* ولا يُوقَدُ سِراجٌ ويوضعُ تحت المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميعِ الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناسِ ليرَوْا أعمالكم الصالحة ويُمجّدوا أباكم الذين في السموات. لا تظنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمِّم* الحقَّ أقول لكم إنَّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويُعلِّمُ الناسَ هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعملُ ويُعلِّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

بل اتخذ طبيعتنا، تأنّس أي صار إنساناً، وصار شبيهاً لنا في كلّ شيء. ولكنّه لم يقع في الخطيئة التي هي الابتعاد عن الله. وكيف له أن يخطئ وهو إلهنا الحقيقي؟ وهل يقدر أن يبتعد عن نفسه؟ بهذه الطريق أرانا الطريق التي تجنّبنا الوقوع في خطيئة الابتعاد عنه، وهي حفظ وصاياه، التي يمكن تلخيصها بوصيّتين: محبّة الله ومحبّة القريب كالنفس: «وسأله واحدٌ منهم وهو ناموسيٌّ ليُجرّبه قائلاً يا معلّم أيَّة وصيّة هي العظمى في الناموس. فقال له يسوع تحبُّ الربَّ إلهكَ من كلِّ قلبك ومن كلِّ نفسك ومن كلِّ فكرك. هذه هي الوصيَّةُ الأولى والعظمى. والثانيةُ مثلها تحبُّ قريبكَ كنفسك. بهاتين الوصيَّتين يتعلّق الناموس كله والأنبياء» (متى ٢٢: ٣٥–٤٠).

فكما شابَهَنا الرب يسوع ومرّ بكلّ ما نمر به كبشر، وأرانا كيف علينا أن نتصرّف تجاه بعضنا البعض، هكذا علينا نحن أيضاً أن نشابهه، وأن نحاول أن نسلك كما سلك هو. وربّ قائل إنْ ما يستطيع الله فعله لا يمكن لإنسان أن يفعله. إلاّ أنّ ما طلبه الله منّا بسيطٌ جدًّا: أن ينظر الإنسان إلى أخيه الإنسان ويهتمّ به كما يهتمّ بنفسه. لم يطلب الله منا أن نتوقّف عن محبّتنا لأنفسنا، وهذا ما يفعله كلّ البشر، إلاّ أنّه طلب منّا أن نحبّ الآخرين الذين نعيش معهم ونلتقي بهم كما نحبّ أنفسنا. والرب نفسه أعطانا وصيّةً سُميت فيما بعد الوصية الذهبية: «فكلّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم» (متى ٧: ١٢).

لماذا إذاً يكذب الإنسان على أخيه الإنسان؟ هل يريد أن يكذب عليه الآخرون؟ لماذا يبغي الإنسان الربح الفائض فيأخذه من إخوته البشر؟ هل يريد أن يأخذ الآخرون منه فوق ما يجب أخذه؟ لماذا يسرق الإنسان ما هو ليس له؟ هل يريد أن يسرقه الاخرون ويأخذوا منه ما هو له؟ وإذا ذهبنا أبعد من ذلك لسألنا أنفسنا: لماذا يقتل الإنسان أخاه الإنسان فيزيله من الوجود؟ هل يريد أن يقتله أحدٌ ويزيله من الوجود؟ لو نظرنا في عمق هذه الأمور لاستنتجنا أنّ كل ذلك يعود إلى خوف الإنسان نفسه من الموت، من الموت الجسدي والموت المعنوي. فالذي يكذب يحاول حماية نفسه من أن يَنظر الناس إلى الخطأ الذي اقترفه، إذ يُظهر ذلك ضعفه. والذي يستوفي الربح المضاعف ربما يخاف من الجوع وبالتالي الموت، وبالطبع يفكر في ما يؤمنه له هذا الربح من استقرار مادي ومعنوي. والذي يسرق يعتقد أنّه بحاجة لما يسرقه، وانه يستحق ذلك وهذا من حقّه. والذي يقتل أخاه الإنسان يخاف أن يقتله ذلك الإنسان، فيقنع نفسه بأنّ استباق الأمور يُجنّبه الموت وبالتالي الزوال من الوجود.

هذا ما لا ينبغي على الإنسان فعله. ولكننا نفهم من الرسالة التي تُقرأ على مسامعنا أنّه علينا أيضاً القيام بالأعمال الصالحة. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في شرحه لهذا المقطع: «يجب عليك أن تقول كلَّ ذلك (كلمة التعليم الصحيح والبشارة) وأن تحث المؤمنين على عمل الإحسان. هذه الأقوال لا تقود فقط إلى الإحسان، إلى عدم التكبّر وعدم الإساءة، بل إلى كلّ فضيلة أخرى... ماذا يعني بقوله «وليتعلّم من لنا أيضاً أن يمارسوا أعمالاً حسنة»؟ أي ألاّ ينتظر المؤمنون القادرون على الإحسان أن يأتي إليهم المحتاجون، بل أن يبادروا هم

تأمل

لنجاهد لحفظ الوصايا والفضائل واكتسابها كلها. في هذا الجهاد الروحي يقدّم لنا الأبرار والذين يحبّون الله مساعدة فعّالة، لأنّهم يحثّوننا على حياة مقدّسة بنصائحهم الجيّدة إضافة إلى مثالهم المفيد. لهذا وضعنا الله كلّنا في العالم ذاته، أشراراً وصالحين، لكي تتناقص نجاسة الأوّلين في علاقتهم مع الآخرين، بينما يستحقّ الصالحون التكريم المضاعف لأنّهم يتبعون طريق الفضيلة من جهة، كما أنّهم لا ينزلقون بعلاقتهم مع الأشرار. وأمّا الأشرار غير التائبين فيستأهلون العقاب مضاعفاً لأنّهم يتبعون طريق الشر ولا ينتفعون من علاقتهم مع الصّالحين.

عندما ترى امرءاً يعيش في البرّ والتقوى، فقلْ هنيئاً له واقتدِ به حتى ولو كان مقيّداً بآلاف السلاسل، مرميًّا في غياهب السجون، مضروباً بالفقر، معذّباً بالإعاقة، يذوب ببطء من مرض مزمن، ويتعرّض لكلّ أنواع الاستشهاد التي يعرفها العالم، لأنّ حياة أبدية وغبطة لا مثيل لها تنتظرانه. كذلك عندما ترى إنساناً يعيش في الظلم وعدم التقوى، في ويهتموا بحاجاتهم، لأنّ الذي يهتم هكذا يعمل، ويعمله بحماس كبير».

لذلك علينا أن نتذكّر أن الله لم يتجسّد من أجلنا فقط بل من أجل كل البشر. علينا ألا نقع في المهاترات العقائدية والمجادلات التي لا تفيدنا بشيء، بل هي باطلة. وعلينا أن نطلب العون من الله الذي أحبّنا أولاً لننطلق نحو إخوتنا البشر الذين نعيش معهم، ولنتبادل محبّة الله هذه فنحبّ الآخرين كمحبّتنا لأنفسنا، فنطبّق وصايا الله ونرتقي نحوه ونتّحد به كما هو اتّحد بنا.

الغيرة للرب

تعيّد كنيستنا المقدّسة في العشرين من شهر تموز للنبي إيليّا التسبيتي الغيور، الذي لا يخلو منزلٌ في بلادنا من فرد مُسمًّى على اسمه، والذي ذِكرُه وطلب شفاعاته على كلّ لسان.

يُعطي الناس صفاتٍ وتصنيفاتٍ للقديسين، وقد نال النبي إيليا صفة القوّة، لذلك تُطلب شفاعاته في «الأمور المستعصية»، كونه قويًّا ولا يخاف شيئاً. وهذا تأثير لِما أتى في سيرته، التي نقرأها في سِفرَي الملوك الأول والثاني، إذ لم يَهَبِ الملكة إيزابيل ولا كهنة بعل الذين قتلهم بعدما ثبت رياؤهم، وأكّد لهم أن الله هو الإله الحقيقي.

نحن، كما قُلنا سابقاً، نصنّف القديسين ونفضّلهم على غيرهم إذا كانت صفاتهم مهمّة (في نظرنا)، وشعبيَّة النبي إيليّا بين أوساط المؤمنين كبيرة كونه «القوي» وكثيرون يسعون إلى التشبُّه بقوّته هذه. إلاّ أنّ النبي لم يكن قويًّا فقط، إنّما كان «غيوراً»: «قد غِرتُ غَيرةً للربِّ إله الجنود» (١ مل ١٩: ١٠)، وهذه صفة عظيمة لديه كما كلّ الأنبياء وعلينا التمسُّك بها بدورنا.

كلُّنا نعرف ما معنى أن يغار الإنسان بشريًّا. أن يغار الإنسان «على» أحدٍ تدلّ على مقدار محبَّته لهذا الآخر، كما تدلُّ على مقدار تمسُّكه به كي لا ينتزعه أحدٌ منه ويخسره (على عكس معنى الغيرة «من» أحدٍ والتي تحمل معنى الحسد والشرّ في طيَّاتها). لماذا نتكلّم على الغيرة؟

منذ أن اعتمدنا على اسم الثالوث القدوس، لبسنا المسيح على حسب ما نسمع في ترانيم المعمودية: «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم، هللويا»، كما اتّشحنا بالسِّربال المُنير الذي يطلب المعتَمِدُ طوعاً واختياراً أن يمنحه إيَّاه الربّ (إذا كان المعتمد كبيراً، وإلاّ فالعرَّاب يطلب ذلك بالإنابة عن المعتمد الطفل)، ومَن يطلب أمراً عليه المحافظة عليه، وهنا تكمن أهميَّة العرّاب في مساعدة ابنه الروحي في المحافظة على وشاحِهِ منيراً.

نتكلّم على المعموديَّة لأنَّها متّصلة تماماً بالغيرة للرب. ففي المعمودية مُنحنا أن نكون أنبياء، ليس بالمعنى الشعبي للكلمة، أي أن نرى المستقبل، إنَّما بمعنى أن نكون شِفاهاً ناقِلةً لكلمة الرب بغيرةٍ، أي أن نقتني في نفوسنا محبَّة الرب أولاً، ثم نشعر بأنّنا امتلكنا هذه المحبَّة فنتمسَّك بها ولا نفرِّط بذرَّةٍ منها، ومن امتلك المحبَّة امتلك الله، لأنَّ الله محبَّة. وعندما نمتلك الله، حينئذٍ نُصبح لابسين إيَّاه كما في المعمودية، وحينئذٍ نصير فَعَلَةً لكلمة الرب وناطقين بها ومعلّمين إيّاها ومُحاسَبين من خلالها لأننا نصبح «غيارى» للرب وساعين إلى إتمام كلمته وجعلها المالِكة على

الشرّ والدّناءة، فحتى وإن مجّده الناس جميعاً، وكان لديه غنًى لا يوصف، أو كان مسيطراً على المسكونة، احزن عليه وابكِه، لأنّ جحيماً أبدية وألَماً لا يمكن التعبير عنهما ينتظرانه.

حقاً، ماذا سيجني الغني بالمال والمفتقر إلى الفضيلة؟ ماذا سيجني المتسلّط على الأرض ولكنه عبد أهوائه؟ ماذا سيجني الممجَّد من الناس ولكنّه غارق في الخطيئة؟ لا شيء سوى موتٍ نفسيٍّ وانفصال دائم عن الرب المعطي الحياة. «لأن أجرة الخطيئة هي موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ٢٣).

إنّ ما يميّز الإنسان الحقيقي المخلوق على صورة الله، هو أن يتشبّه بخالقه ويُرضيه. إذاً، فإنّ مَن يرفض حتى أن يسمع كيف يُرضي الله، هل يمكن أن يُدعى إنساناً؟ قد يُدعى بأيّ اسم سوى ذلك، وعلى الأغلب يجب أن يُدعى وحشاً. فكّر إلى أيّ دَرَكٍ يجب أن نصل، فبينما يريد المسيح أن يجعلنا نحن الناس مشابهي الملائكة، أو بالحريّ مشابهين له هو، لا نحافظ نحن على إنسانيّتنا بل نصبح وحوشاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

حياتنا وحياة مَن حولنا.

لقد فَهِم الأنبياء أنّ الله هو الملك الأوحد لذلك لم يهابوا أيّ ملكٍ أرضيٍّ ولم يتزلّموا لأيّ نظامٍ أرضيّ، لهذا أكلتهم غيرةُ الرب والتهبوا عِشقاً له ولكلمته التي رُجموا ونُشروا وكابدوا أشنع الميتات والتعذيبات في سبيل إيصالها إلى مجتمعاتهم. وَثِقوا بأنّ الله هو فقط الذي يحكم بالعدل وأن كلمته هي الحق، لذلك حملوا هذه الكلمة التي كانت دائماً تهزم كلمة حكّام الأرض. محبَّتهم لله جعلتهم يغارون لإيصال الله إلى قلوب الجميع إذ كانوا يشتعلون بالمحبّة، التي متى ذاق الواحد منّا طعمها الحقيقي شاء أن يشاركه فيها الجميع ليعرفوا ما هم خاسرون.

دعوتنا في النهاية ألاّ يمر عيد النبي إيليّا أو أيّ نبيّ آخر من دون أن نتأمّل في كلّ صفاته من دون أن ننتقيَ منها ما يناسبنا فقط. وصلاتنا في هذا العيد المبارك أن يلمس النبي إيليا قلوبنا بغيرته، ويعلّمنا كيف نحب الله بكليَّتنا كما فعل هو، من دون أن ننغمس في طُرُقِ احتفالاتنا «الوثنية» إلى حدٍّ ما بالمفرقعات والأهازيج والأطعمة، بل فلتكن احتفالاتنا على مستوى غَيرتنا للرب، بالصلاة وقراءة سيرة النبي إيليا والتعلُّم منها.

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس التسبيتي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السابعة من مساء الخميس ١٩ تموز ٢٠١٢ في كنيسة دير مار الياس بطينا، وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٠ تموز في كنيسة النبي الياس في المصيطبة. ويعتذر سيادته عن عدم استقبال المهنئين بالعيد ويتمنى للجميع عيداً مباركاً.

من أقوال الآباء

+ قال الأب أفبربيوس: إذا ملكت في قلبك الثقة واليقين بأن الله أمين وقدير، آمن به فتشترك في ما له. ولكن إذا لم تكترث فلن تؤمن. ونحن ما دمنا نؤمن بأنه قوي وقدير، فإننا نؤمن بأن كل شيء ممكن له. ولكن في أمورك أنت آمن به، لأنه فيك أيضاً يجترح آيات وعجائب.

+ عندما سلب اللصوص أمتعة الأب أفبربيوس كان يساعدهم على نقلها. ولكن لمّا أبقى اللصوص له عصاه، حزن جداً وحملها وشرع يركض وراءهم يريد أن يعطيهم إياها. لكن هؤلاء رفضوا أن يقبلوها لأنهم كانوا يخشون حدوث شيء لهم. فما كان من أفبربيوس إلاّ أن سلّمها للمارة الذين كانوا يسلكون الإتجاه ذاته ورجاهم أن يسلّموهم إياها.

+ زار الأب أفبربيوس في بداية حياته ناسكاً وسأله: يا أبتِ، قل لي كلمة، كيف أخلص؟ أجابه الناسك: إذا أردت أن تخلص لازم عدم الكلام ولا تسبق أحداً إليه. لا تتكلم قبل أن يسألوك. فتأثر أفبربيوس بكلام الناسك وصنع له مطانية قائلاً: في الحقيقة، إني قرأت كتباً كثيرة، لكني لم أسمع بتربية كهذه. ثم خرج من عنده منتفعاً جداً.